والشهوات الجسمانية، وانتجعت تلك الاكوار، مرآت قلبه وانحجب بظلماتها الكونية،
وصورها الخيالية عن اشراق شموس العرفان، وانوار الايمان، وكلما ازاحت فيها صور
الاشياء انعكس نورها، واشتد حجابها، فلا ترى الا الحس ولا تتجلى الا بالحس عنها
ما يشتد حجابها وينعكس نورها بالكلية فيتكرر وجود النور من اصله وهو مقام الكمل والعباد
بالله ومنها ما يقابل ضداها ويحجابها فتنعكس بالنور ولا تشاهده وهو مقام عوام المسلمين
وهو متفاوتون في الرقي والبعد وقوة الدليل وضعفه على قدر يقينه وقلة تعلقاته
الدنيوية وعوائق الشهوانية وخيالاته الوهمية، وفي الحديث ان القلوب تصدى
كما يصدى الحديد وان الايمان يخلق ابدانكم كما يخلق الثوب الجديد وفي حديث اخر ان القلب
مصقلة وان مصقلة القلوب ذكر الله، وقال ايضا صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا اخطا خطيئة
نكتت في قلبه نكتة سوداء فان هو نزع واستغفر صقل قلبه وان عاد زيد فيها حتى تعلو
قلبه وذلك الران الذي ذكر الله كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون او كما قال عليه
السلام وانا علمت ان القلب ليس له الا وجهة واحدة اذا قابلها النور اشرقت واذا
قابلتها الظلمة تكلفت ولا يجتمع الظلمات والنور ايضا علمت وجه تعجب الشيخ بقوله
كيف يشرق قلب بنور الايمان والاحسان وصور الاكوان الظلمانية منطبعة في مرآته
قلبه بالضد ان لا يجتمعان قال الله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما الذي جعل
البعض الاقلب واحد اذا اقبلت به على الخلق ادبرت عن الحق واذا اقبلت به على الحق ادبرت
عن الخلق فتحرس على الملك الى الملكوت ومن الملكوت الى الجبروت وما جمعت مقيدا هذا
العالم بشهواته وعوائده ولا يكتفي الى حيل الى ربك والى ذلك اشار بقوله او كيف
يصل الى الله وهو مكبل بشهواته الحيل هو النهوض الانتقال من وطن الى وطن وهو
هنا من نكد الدنيا الى شهود المتون او من الملك الى الملكوت او من الوقوف مع الاسباب
الرؤية مسبب الاسباب، او من وطن الغفلة الى اليقظة او من حظوظ النفس الى حقوق
الله او من عالم الاكدار الى عالم الصفا او من رؤية الحس الى شهود المعنى او من الجهل
الى المعرفة او من علم اليقين الى عين اليقين او من عين اليقين الى حق اليقين او من المرافقة
الى المشاهدة او من مقام الصابرين الى وطن المتمكنين والمقبل هو العفة والمراد بالشهوة

لما تشتهيه النفس وتميل اليه فلت الحيل مع التكبيل لا يجتمعان فما دام القلب
محبوسا بالحيل التي هي من هذا العرض البدني ولو كان مباحا في الشرع بهو مقيد به ومكبل
به ومحتجب بما حجر الى الملكوت ولا تنشرح عليه انوار الجبروت فتعلق القلب بالشهوات مانعة
له من النهوض الى الله لاشتغاله بالانتقال اليها وعلى تقدير النهوض معها تكون متثاقلة
له عن الاسراع بالميل اليها وعلى تقدير الاسراع فلا يومن العثار معها لانسر النفس بها
ولذلك ترى الاكابر لذتها حتى قال بعضهم لدع الزنا يبس على الاجساد الموقنة ايسر من
لدع الشهوات على القلوب المتوجهة، قال الشيخ زروق رضي الله عنه فلت هذا
ان تعلق القلب بطلبها قبل حصولها والا فلا لعدم تعلق القلب بها وقد تقدم في حقيقة
النهوض ان تكون مع الله بلا علاقة وكان شيخنا رضي الله عنه يقول ان شيئين ان انقسم
لكم لا يدخل عالم الملكوت من غلبه علاقة، وانتفع عند بالاخ عروق العلايق وهي من
وطن الجوارح، تنشق عليه انوار الحقايق، ولهذا كانت السياحة والهجرة من الامور
المؤكدة على الفقراء الاقامة في وطن الحس لا يخلوا معها من التعلقات الحسية، وقد
قالوا الفقير كالماء اذا خالط موضع واحد تغير واذا جرى بحة جرى بقدر ما يصيبه الحس
يصيبه المعنى وبقدر ما يصيب القالب يصيب القلب والهجرة سنة قديمة ومنها هاجر النبي
صلى الله عليه وسلم لم تترك راحة الابدان الهجرة للجهاد حتى فتح الله عليه البلاد، وكذلك
الصحابة رضوان الله عليهم لم يستقروا وطنه الا انقلبوا منه حتى فتح الله على ايديهم سائر
البلاد، وهدى الله بهم العباد، نفعنا الله ببركاتهم وامين، واذا رحل القلب عن
وطن شهواته، وتنحى من لوث غفلاته، وصل الى حضرة ربه، وتنعم بشهود قربه، ولذلك اشار
بقوله او كيف يصل الى حضرة السر هو لبيه من جذابة نعمائه الحضرة
هي حضور القلب مع الرب وهي على ثلاثة اقسام حضرة القلوب وحضرة الارواح وحضرة
الاسرار فحضرة القلوب للعارفين وحضرة الارواح للمنتهين وحضرة الاسرار
للمتمكنين او نقول حضرة القلوب لاهل المراقبة وحضرة الارواح لاهل المشاهدة وحضرة
الاسرار لاهل المعاينة وسر ذلك ان الروح ما دامت تتقلب بين الغفلة والحضرة كانت
في حضرة القلوب، فاذا استقر احتجابا الوصال سميت روحا وكانت في حضرة الارواح واذا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)